مبارك وساط

- طبعة 2020 -

مبارك وساط

محفوفاً بأرخبيلات...

يليه

راية الهواء

-طبعة ثانية- 2020-

طبعة ثانية، إلكترونية، 2020

(مُراجعة ومُنقّحة)

(بعد طبعة أُولى، ورقية، عن منشورات عكاظ بالرّباط،

سنة 2001)

محفوفا بأرخبيلات...

صيغة نهائية

2020

هُنالك بواجهة حياتك

كلُّ غضون الشّباب الوقحة

والتَّوقيع الذي تضعه شفتاك

أسفلَ صفحة كحول

يحتوي قصصاً واقعية

عديدةً ومتنوعة...

جورج حنين

ديبـاجة

بأشرعة من شرار وإلا

فبأجنحة الألم، فحسب

يُمكنني أن أُوغِل في الفجر الخفيف

حتى مصبِّ أنهارٍ

تَهدر بالأحلام.

أبـديَّة

وكأنَّها الأبديّة

محمولةً بين مخالب نسر:

كلُّ هذا البياض

المُدَمّى

وكأنِّيَ الامتدادُ الحيّ

لزوبعةٍ

غامضةِ

النوايا

أألتفعُ بِحرير الشمس

وأُصيخُ السّمع

لهذا النَّدى الذي يَموء

في حِداق

الخُزامى

أأحْدُو النَّسيم

إلى مسقطِ رأسه

خلال هذا النَّهار

الأكثرِ خضرةً

من كارثة

أم أبقى في هذه الغرفة

النَّظيفة

إلا من دِماء الأحد؟

رَحـيـل

حينَ سالتْ على جبيني

دماءُ الغَسق

اِعترتْنِي رعشةُ اللحظة العَمْياء

انسحبتْ يدايَ

مِنْ طُفولةِ الذَّهب

وبدأ وجهي يُسافر بلا كَلل

نحو مهابِّ الألم.

هـامشٌ لصهـيل فنـار

هُنـا، تَحت أهـدابِكِ أيَّتهـا الـرِّيح، وأنت تُفكِّكين دَواليبَ الظّهيرة، وتنثُرين المفاتيحَ على صَدْر الميِّت، حيث ينضُجُ الصَّمت، ثم يَنسَلُّ ثَخيناً إلى خياشيمنا،

تحت أهـدابك، تخلَّصـنا من خُطانـا الفائضـة عمـا تُحبِّذُه الطُّرقـات، وَمِن الصَّـدأ العـالقِ بسـجلَّات أنفاسـنا. وَأَدْنـا النَّغمـات الـتي اسـتخرجنا من عويـل العربـات، وتشـمَّلْنا بنجيـع الـوقت. وإنْ لم نحضُـرْ دفْن آخـر نهـار قتيـل، فـإنَّ أفواهنـا تـركتْ هامشـاً لصـهيل فَنـارٍ يُضـيءُ طريـقَ المراثي.

لم نكن قط أدْعياءَ إزاءَ مشاعر العنكبوت. نحصدُ سأم القمح، وبِكوابيسِ الينبوع نغتسل. وليس بيننا من أوقع الضَّغينة في قلب الصَّبيحَة التي مزَّقتْ نسيجَ سُهادِنا، نحنُ المُقْلِعِينَ عن معـــاقرة وســـواس الخيـــول! وإذا السَّنابك تجتثُّ صفير الحدائق. واللقالق تَقضم لحم الدّقائق. وأهدابُنا تقذف شررَ اللبلاب. يَا ما صادقْنا السُّهُول المتأنقة. يا ما تأوَّد قدُّ الغواية في أروقتنا، بين مراياننا وخطاياننا. وحتَّى حين بدأت فراشات نزقة تُربِّي في آذاننا عواصفَ وليدة، نحن لم نيأس. نرى إلى أرضِنا الحيزبون، المُعلَّقة من شَعر عانتها بأسلاك لا مرئيَّة. نتعلَّم منها الصَّبر.

لكن، قولي لنا أيتها الرِّيح الرّؤوم، ما الَّذي سنفعله

بِكُلّ هذي الفصول التي بدأت تندلق،

كثيفةً،

من عيوننا؟

أقبـل الفجـر

أخيراً،

أقبل الفجر جريحاً، وقد حرَّرَ أجنحته من أصفاد الخُرافة.

وقتها، سال الفرَحُ، قانياً،

من أنوفنا التي ما عادت

تتعرّف علينا.

لسنا وحدنا الحيارى!

أمسيـة

طُول الوقت كان الموسيقيُّ

يَعزف بحركاتٍ تُشبه

تمارينَ المطر

والبهلوانُ يترنَّح في الأعلى...

لم يكن أحدٌ ليرفع عقيرته

لم تكن كفٌّ لتوقظَ الأشجار

المُسرنِمة في المرايا

على جُثَتنا الطَّافية فوق لعابها

تناثرتْ بِدافع الشَّفقة

وُرود الشَّفق

وبدا الحُضور سَاهمين

فهم، لا شك، يُفكِّرون

في عذاب المذنَّبات، التي،

بعناية، تحرسهم...

أنا، أيضا، فاجأتني

لحظةَ شحوبِ الباب

كلُّ تلك الطيور التي

بدأتْ تهزج

في مُنعرجَات مصائرنا!..

غرقى

كثيراً ما نقضي اللَّيل

مُوَزَّعين على السَّواحل

نُداهم الأعياد المسترخية

في قواقعها

وبأجسادنا

نمسح عن الصُّخور سقمها

نروي حكايات بمكبّر الصوت

كي تلتقطها آذان الغرقى

ونقتادُ الفجر الضرير

عبر أروقة بيوتنا اللامرئية...

...ولنُزَجّيَ الوقت

نجتلب أصابعنا الذابلة

من سهوب الأنين

ونغرز إبر الساعات

في جلد الذكرى

فتُشعُّ بوميض الألم

عيونُ الطّحالب التي تَسهر

في محاجرنا، نحن

الغرقى.

مهمَّـة

اِنتخبتني الليالي

لأَشْتار عسل الكواكب

المُتَدلِّية

فوق رؤوس الغواني

لِهذا، "لا أذوق النوم

إلا غرارا".

طويلاً عِشْتُ كَما

طويلاً عِشتُ كَما

لَو كُنت نَهراً لا يكفُّ عن

الهدير

نهراً لا يُبالي

إنْ عاشَ أو انتحر

كنتُ أقرعُ أجراس الفوضى

في الطّرقات

وأَجلسُ إلى موائد الدّوار

في مقاهٍ

تَؤمُّها البُروق...

ثُمَّ وجدتُني، ذاتَ فجر

بدا مُبرقَشاً بأنينه

أرْعى سِرب كوابيسَ وَرْسَاء

في سُهوب السُّهاد

وكنتُ مِن بين الفرسان

الذين نادموا ظِلالهم

على قليلٍ من الوسواس...

أمسِ مساءً

كانتْ سُحب مُشاكسة

تكسو رأسي

بِسُعال الأبالسة

وبعد أن تسلَّلتُ خِلسةً

من بين أسنان الطَّقس

مضيتُ لِأَتيه

في الأزقّة الخلفيّة

للحياة

مـسرّة

جاءها مخموراً

ليسرُدَ على عينيها

نُعاسَ اليمامة التي تحيا

في صندوق من طَلّ

جاءها ولم يُصدِّق

أنّه أفلت من أشراك الرَّمل

وكمائنِ المصادفات

وأنَّ خيولَ الشَّوق المُجنَّحة

التي حملتْ على صَهواتها

قُرىً عديدة

إلى مَجرَّاتٍ بعيدة

هي التي أنقذَتْه

مِنْ فَحيح المسافات

جاءها مخموراً

في عينيه هلوساتُ

السُّهْدِ والتّرحال

ومعها أقام تحت مظلّة الهديل

محفوفاً بأرخبيلات

ولم يحزنْ أبداً

لَدى سماعِهِ الأغصان الجريحة

تَلتفُّ على قلبه العاشق

هو الذي جاءها

مخموراً

نـار غريبـة

إذْ تَسعل السَّاعات

مُحتقنةً بسُلٍّ قديم

ويُدمدم جدول

حاملاً جنونَه على جفونِه

يُؤجِّجُ، هو، طنينَ عظامه

ثم يرحل

مُلوِّحاً بِمناديل البراري...

أقمارُه تتلألأ على كتفيْه

ونحن نتبعه، لِنكتشف الآثِم

الذي آلمَ الغابة

الذي دلّ العدوَّ على كهف بعيد

تتحصَّن فيه ذكريات الخيول

نتبعه، لِنعثر على موطن البيلسان

المُزَنّر بدموع زرقاء...

وهو يرحل، مؤَجِّجاً طنين عِظامه

مظلَّلاً بأنفاس العقبان

إنه شاعر، تخفُرُه

صيحتُه الأولى

حلمُه أن يجمعَ

من سراديب الفُصول

أسناناً جميلة

تَصْلح لأفواه

الموتى.

براءة

الرَّجل الذي قضى ليالي طويلة

مُوغِلاً في شُحوب الحديقة

لم يَسرِقْ نياشينَ الخُزامى

وليس من جدَع أنف الهواء

لم طاردوه إذن؟

إنه يتخفَّى الآن في مغارة

يَحرسها هتاف النَّمل

لا يغادرها إلا مُكرهاً

إلى مفاوز

يُسدل عليها الأموات

أكفاناً راعشة

لكنْ لا خوف عليه

حين يَجوع

يستطيع أن يجلس

إلى خِوان النسيم

وإذا تعقَّبته العقبان

يُمكنه أن يمتزج بالزَّبد

لا خوف عليه

لهُ خيمة

يستريح فيها حواريُّو الرّيح

حين يتعبون

حَاشيـة

أنفاسُ الصَّيف تتمترسُ خلف ضحكة الجبل

زَغب الضوء يتناثرُ، حُمَّى من الأَلق

قريباً مِن الهاوية الزرقاء

ثمَّة بحرٌ في سَمت ملِك

حوله حاشيةٌ من الغرقى

وجنودٌ يَخِبُّون على الثلوج

يخوضون حرباً صغيرة

ضِدَّ فيلق من النَّوايا:

بِلا مبالاة، تعبر الريح فوق المشهد.

ذِكْر ما جرى

كانتْ مناقيرُ الدَّقائق

تنقرُ رِدف امرأة بدينة

كَلبُها الصَّغير الْتَفت

وأثنى على الهواء الطَّلْق:

عينُ النهار كشَّرتْ!

ذِكْر ما جرى (2)

هي ذي شمسٌ يبدو عليها الذُّبول

وأَمارات الضَّياع

ذلك أنها تتملّى

بعيونِها التي تحترق

إعصاراً يتنصَّت على بَوح الأشجار

ويلعقُ دِماء المروج

بألسنة الذِّئاب.

كيْ لا ننسى

يَحدثُ

إذا ابتعدَ الأعمى

مخفوراً بِهسيس الظلام

أن تنبثق من بُؤبؤيه

عصافيرُ

برَّاقة

وأحياناً

إذْ تَتفتَّح عُيون الطَّلِّ

تتقمَّص أزهارٌ

شفاهَ الغواني

ومرةً

رأينا عرّافين

يسْملون عيون النّهار

وبغامض التَّعزيم

يصنعون من الرَّمادِ

ظلاماً

ومرةً

فكَّرنا

في المصير الأسود

للطَّحالب الحَمقاء

فنما قلقٌ كثيف

بأذقان أقزامٍ

يستعبدون المستنقعات

وأجراسَ

أرواحِنا

لكنْ

يتوجَّب نقشُ هذا

على آماقِ قَوسِ قُزح

كيْ لا ننسى

أنه يَحدث

إذا ابتعد الأعمى...

كان صباحٌ

كان صباحٌ يَجوب الشوارع

مُتملِّياً غُرفاً تَرقص في الضباب

وكنتُ هائماً أيضاً على

هَمهمة الحصى

حَواليَّ نَيازكُ فقدتْ رُشدها

إِثْرَ صَدمةٍ ما والعُشب الميّتُ

يُوجِّه سأمَه عالياً إلى فمي

والحكايةُ التي تَدِبُّ على جبيني

لم تَكنْ لترتاحَ في ظِلِّ

رِياحٍ هبّتْ لتخلعَ

عن الأشجار شفاهَها

وكان الصَّباح الصّغير يمشي

رازحاً تحت صراخ

أسنانَه وأنا جنبه

أتنصّت للموسيقى الغريبة

التي تتولَّد

مِن قَلق العابرين

ريـف

كانَ الليل، سائسُ النُّجوم الماكر، يَغتسل في بركة من دماء الخيول حين غادرتُ بيتي، موقورَ الأذنين باعترافـات النبيذ.

وأنا أتملَّى المشـهد، تمـدَّدَ ريـفٌ شاسـعٌ أمـام قـدميَّ، مُجلّلاً بِصهيلٍ مَديد، بشقشقة غريبة. كانَ ريفَ عصـافيرِ العُزلة، وضاعتْ فيه خُطواتي، يَبْهَرها ضَوءُ العدم.

شفـافيـة

ما الذي ستتذكره من أيّامك التي خضّلتْ أرصفة المدُن بعـرق المـراثي؟ نهـاراتٍ تنـثر فضّـة الجـبين على موائـد تُقـامر من حولهـا الفصـول. وليـاليَ تَسُـنُّ نصـالها على جلد أحلامك...

وأصــابعك الــتي أسْــلمْتَ لنعيب الجــزُر. وتــتركُ نباتاتٍ هوجـاء تجـوس في الـبراري المحتميـة بأهـدابِك، فـترى في النـوم أن جسـدك شـفَّاف كمـزاج ينبـوع، وأنَّ لـك عظاماً من نُحاس يُنْذِر بوميض صباحاتٍ باردة على الفم.

ترى أنَّك ترشف خمرة الأسلاف من ضِرع ناقة الله!

وكنتَ تتـوجّسُ من ظـلِّ الـرَّاعي. الـراعي الـذي عـاش رضيعاً في دمعة أُمه، وتكلَّم، وهـو بعـدُ في الدَّمعـة... وها هو يَقذف في وجهك بعرائض اللبلاب، فيما أقـزامٌ يُـترعون نخـاع المكـان بجثث مسـروقة ونيـازك... ألمْ يكن هــذا كافيــاً، فتــأتيَ ريحٌ غريبــة لتنشُــر هوسَــها على خُطاك؟

يُفاجئني المطر

على مِحفَّة الهذيان

تتمدَّد شقيقةُ الزَّبد

مُذْ صُعِقتُ ببروق جسدها

مُذ عشقتُ حدائقها المعلَّقة

بِضفائرِها

بدأ المطرُ يُفاجئني كلّما غَفَوت

لذا فأحلامي

حافلةٌ

بأقواس قُزح.

شَكوى

هذه السّماء ملتاثة

إنها ما تنفكّ تَلُوك

ثِمار كآبتَها

قاذفةً بالنوى

التي هي جماجمُنا المعدنيّة

في بُحيرات النّدم.

ألـق

الطِّفلة الغريبة التي كانت تحكي لنا

عن رِفقتها لقمرٍ وديع أَلْثَغ

والتي مضتِ البارحة لتنام

جنْب المدفأة

قائلةً إنَّ عناكب مدرَّبَة

تَنسج من نُخاع الزّمن

خُمُراً لإناث الزَّواحف

مازالتْ بعدُ لَمْ تستيقظْ...

ذلك أنّها ليستْ في مكانِها

فهي تتمدّد على شاطئ بعيد...

نَمضي إليه لنرى:

ثمّة قوارب محملَّة بأمواجٍ حوامل

والطّبيب المسؤول عن صحّة الزَّبد

ما إنْ رآنا

حتى سارع إلى التخفِّي

تحت كثافة ظلِّه...

وهي، هناك، مشدودةُ الأصابع

على وُرود الليل النَّدِية

وألسنةُ الموت تلعَق أجفانَها...

ما يلتمعُ على جسدِها

ليس برْقاً في حِداد

إنَّها الدُّموع السَّوداء لِريحٍ

تأكلُ الطّيرُ من رأسها...

قَـرار

إنَّهن خَـ ـدينات النُّجـوم، يَتهـادين على نَمـارق المُحيـط، لاحـظ المجنـون، وهـو يُحسُّ أشـجاراً تحتفـل في قامتـه السَّعيدة، جمــراً يــتراقصُ، جــذِلاً، في عُروقــه... لكنْ سرعان ما داهمه الحزن إذ رأى ريشاً يتناثر في الفضـاء: تلك كانت يمامةَ روحـه، الـتي مـا إنْ ظهرتْ إلى العـراء، حتى خنقتْها أصابع لا مرئية.

وتعـاظمَ يأسُـه وغضـبه، إذ تـذكَّر كيـف احتجـز الـدُّهاة أجملَ صيحاته في مكـان مجهـول، وكيـف أكرهـوه على أن ينقُل فوق ظهره شُهباً إلى مَسقط رأسـها، وكيـف حشدوا صُوَره من كلِّ المرايا التي سبق أن رآها فيها-

حشدوها وجعلوها تـتربَّصُ بـه في المُنعطفـات... إذّاك قـرَّر أن ينظم كُريّـات دمـه في عصـابات مسـلَّحة، ويبعثَ بها إلى الأدغال، كي تعيد، بالعنف،

شيئاً من التّوازن

إلى رأس العالَم.

مصيــر

تلك العذراء البهيَّة

ودموعها من حليب

كفَّاها مفتوحتان

لِضحكِ الأعشاب

وكلَّ صباحٍ تلتقطُ مِزَق الأحلام

المُتساقطة من أجفان الكواكب

وتُخفيها في عيوننا

كلَّ مساءٍ تَكِدّ، ونحن لا نُزعجها

إنّها تضفرُ أكاليلَ غارٍ

للّذين من بيننا، خِلسةً،

سيُصلَبون.

فـي حديـقـة الغَلس

في حديقـة الغلس، هنالـك يـدان تقطفـان من شـجرة الزّيتـون عيونـاً حَـوراء. تحت ضـوء النُّجـوم، تنمـو سـريعاً أظـافرُ ظِلّيْهمـا. وهنالـك الأعمى الـذي بـدأت عظامُـه تُغـادره، وهـا هـو يَنسـج من الحريـر ومن الألم شِـباكاً ينصـبها لِفراشـات الليـل. أثنـاء النّـوم، وردةٌ بين أسـنانه ستُعيد ترتيب أحلام فمـه. لكنّـه، حين يسـتيقظ، سـيرَى. بأبصارِ خُطّاف يحمل ربيعاً تحت كلّ جنـاح، سـيراها: تلـكَ الأغصانُ المدمَّاة التي تنعقدُ إكليلاً على جبين الصّباح.

صـعود

كانت أمطارٌ، بداخل رأسه، تتهاطل.

ثم أطلّت الشـمس مِن هودجهـا العليّ، فهـرول نحـو بيته، محاذراً أن تنزلقَ قدمه إلى واحدة من تلـك الحُفـر، حيثُ يُوجَد دائماً من يُقْعي ويَرفو كوابيس المياه.

في طريقـه، كـانتْ بضـعةٌ عصـافير تصـلب اللصّ الـذي سـرق قلائـدَ شـجرة الحـوْر، وكـان جمـعٌ من المُقعـدين، مُمســكين بالفراشــي وأوعيــة المــراهم، يجدُّون في شُغلهم: إنهم يُلمّعون جِلد العدم.

أنفاسُ الظَّهيرة عوسجُها كثيف. هكذا أخطأ، وعِوَض أن يصعد الدَّرج نحو بابه، وجد نفسه يعتلي جبلاً، حيث موتى يتعجَّبون: لِكلِّ ميْت جثَّتان.

أعاد الكرَّة، وفي هذه المرَّة، ارتقى- لاهثاً، متوفِّزاً، سُلَّمَ ريشتر إلى أن شعر بزلزال عنيف يَضرب خدَّه الأيمن. أحياء عديدة، في جَنبات المدينة، دُمِّرتْ عن آخرها. والذين فتحوا أفواهَهم، صدرت عنهم آهات معشوشبة. عيونهم سافرت عبر تخوم السُّهاد. وخرجتْ غربانٌ من ليل قديم.

أخيراً، أخيراً، وَجد نفسه في غرفته، آسفاً لكونه لم يَحصل على سجائر، فالبائع كان قد أغلق دكَّانه، ليقومَ

بمعجـــزات عظيمـــة أمـــام سَحليَّة مَهيبـــة لم تُخْـــف انبهارها... أشعلَ، إذن، عشيقتَه، وطفق يُدخّن سيجارة خيالية.

رغبَ في تقبيـل مـريم، عشـيقته العـذراء، لكنهـا الآن مجـرد كُومـة رمـاد. تفـادى النحيب حـتى لا يـزعجَ جيرانـه اللطفاء، تلـك العائلـة المكونـة من خمسـة أقـواس قـزح سُود (قيل إنّها جاءت من غانا).

وكمـا يحـدثُ حين تصـير أذن المـرء وكراً للإجـرام، فقـد كـان قلِقـاً. لا يُمكنـه أن يبقى بين هـذي الجـدران الـتي بـدأت تتخـدَّد وتتهـدّل، فالسـكاكين، وسـطها، تَزحـف وتتلـوّى كالأفـاعي، والقنـاني الفارغـة تَهبُّ مِنهـا ريـاحٌ

برصاءُ، وصـمت الكراسـيّ شاسـعٌ ومتلألئ مثـل نـوم المجانين.

ولا هـو يسـتطيع أن يَمضـي إلى الخـارج، ففي هـذا الـوقت بالضّـبط، تتحـوَّل بضـعُ غيـوم قططـاً وحشـيّة، وتسقطُ على رؤوس المارة الصُّلع.

مسَّدَ على رأسه الصَّقيل، وكان ضحكٌ في المرايا.

للشتاء أسماؤه...

للشتاء أسماؤه السّرّية

في رُدني معطفه

تتخفّى العنادل

الهاربة من دموع العدالة

وله أيضاً بيارقُه المُرَصَّعة

بِهَيْنَمَات قوسِ قزحٍ يتيم

حين تُطِلُّ شمسُه العابثة

وَسْط سماء

تُقامر مع أسلافنا

بعظام النّوارس وفِضّة الغُيوم

وَيُلقي ضوؤُها خطبتَه التي

يسيلُ منها عرقُ الأبالسة

على آذانِ نهرٍ لنا

نَنفضُ عنا نَقْع الكآبة

نتناسى الصّباحات السّجينة

في قناني المُروج

ونَنتظر...

ننتظر أن تعودي إلى غُرَفنا

يا ملائكةً

من مياه.

صلـيل

سُيوفُ الشتاء، بداخل رأسي

طُولَ الليل

تقرعُ كؤوسَ الليل

هكذا استُنْفِرَتْ حُشودٌ

من عظامي القديمة

طالما انتظرتْ هذا الصَّليل

للانضواء تحت لِواء

الكوارث

التي تتمنطقُ بأحلامي

لهذا، أُصيخُ السّمع

خلال اعتراف المطر

قبل أن أمضي نَحو سريري

السّادر

في أرَقه الخاصّ.

رقصـة

أَعْدَتْني هذه الورقة

بِحُمَّاها

لا سبيل إلى الشِّفاء

مِنْ طقس هذه الأسنان

أعزَلُ أنا

حين مرّ شِهابٌ بنافذتي

لم يترك لي غير فُتاتٍ من نصائحه

ولَأْمةٍ كانتْ لأسلافه

سأتدرَّعُ بها ضِدّ كُماة الشّتاء

وأُوغِلُ في العزف

على كمنجات الغواية...

لكنْ ما الذي أفعلُهُ الآن

وقد بدأ هيكلي العظميّ

يرقصُ بجانبي

على إيقاع القُشعريرة؟

راية الهواء

صيغة نهائية

2020

هذه طبعة ثانية - إلكترونية - لمجموعة "راية الهواء". 2020.

(الطبعة الأولى، ورقيّة، صدرتْ عن منشورات عكاظ،

سنة 2001)

فُتِنّا للشّقاء بِحُبِّ سِحْرٍ

كما فُتِن النّصارى بالصّليب

مُسْلم بن الوليد

الضّحك

فيما كانت دِيَكَةٌ

تَحْلِجُ صوفَ السَّحر

عبَرَ نَسيم رقيق

متلفّعاً بحرير القوافي

أما الفتنة النّائمة

في صالون للحلاقة

فقد أيقظَها شَعرُكِ

ثانيةً

ثمّ بدأتِ تركُضين

خلفَ جداولَ جاءت من بعيد

جداولَ كَشَطت بأظافرها

أهراماتٍ

عن جِلد أخناتون

ثم عادت لتسريح

في عُيون المجانين

تبتعدين

وتُغْضِين عَنّي

مثلما تتجاهل النافذة

الجِدار

وأنا مَصْهرٌ

لِكروم اليأس الحمراء

ناطورٌ البستان الذي

يتشكّل من هَيْـنـَمَـاتِـك

تُغْضين

أنت التي دمدمتْ في ذاكرتك

طفولة المياه وغنَّتْ

حدّ أنَّكِ، طيلة ليال،

ما كنت تتحرّكين حول رُسْغِي

أو على زَبد الفضاء

إلا سباحةً

مُتَّكئاً على جدار

من صبوات

قرب ربَابة

تنسج كسوفاتٍ

من أليافِ أحلامها

أرقبُكِ وأنت تُسرْنمين

على مياه نهر

نُوِّم مغناطيسيا

وحُكِمَ عليه بالضَّحِك

مدى الحياة

وسِرْتُ نَحْوَكِ تحت أمطارٍ

مضرّجة بزرقة ولادتها

وتحت برقٍ رجيم

إلى أن، أنا أنفاسي،

في حِضن

الزوبعة

سَقَطْت

وكانت الزّوبعة

قد اندلعتْ حقّاً

في فنجان صغير!

مَرّت ساعاتٌ توتّر أقواسها

اِعتزلتْ آلهةٌ في أقفاص

عَبَرَتْ عربات

محمّلة بريش كثير

يدفعها رُضّع ضاحكون

ألقتْ أيكةٌ بهوامّها

على قذالي

وأنا أبذل كامل جهدي

لأغادر محبسي:

الفنجان الصّغير!

في عيني اليمنى

تلالٌ تَثْغُو

وقرب قدميَّ

الزمنُ، أشقرَ ماكرا،

يَعْرِض على السماء

فجراً مزوّراً

وإذْ خفقتْ، في الأعلى،

رايةُ الهواء الوحيدة

التي هي الغراب

حطّمتُ، أخيراً، أسوارَ الفنجان

وخلُصتُ من محبسي

بجراح

طفيفة!

وها قد جاءتْ نَجمةُ جبينك

التي اسمُها لمعةُ الجيرانيوم

ونادِيْنَ – هي

وجراحي –

صيفاً يَغُذُّ السَّير

نادَيْن مساءً

يَهبط بمنطاد

ولمْ يكن الظَّلام كثيفاً

حينَ بدأت أراغنُ شَعرك

تُغذّي شائعات

عن حَبَل الأرضِ

بأرضٍ أخرى.

أمام بـاب الحُبّ

أرضٌ وهّاجة

بِعذابات الحَجر، تَرِفُّ عليها

أجنحةٌ بيضاء

خلال أصائلَ بيضاء

مِن هنالك جِئْت، ولمْ

يَكُنْ في طريقي من مُفاجآت

سوى أنَّ بِضع شُجيرات

كانتْ، أحياناً، من فَرْط الدَّهْشة

تتحوَّل إلى كمنجات

بينما عيْنُ الحلزون

تقتنص ببريقِها

ألوانَ نُمور حالِمة

أنفاسي كانت تتغلغل

في رئَـتَـي مساءٍ مُعَربد

وفي أثلام أرض المرايا

من حيث جئت، مخفوراً

بجوارحَ سبق أن سَفَّت

من طَمْي العدم...

والآن، افتحِي الباب

قبل نُضوب النَّشيد

المتصاعد من أهدابي

افتحي بسرعة

فَدَمُ اللّيل بدأ يتعفَّن

والجوارح التي تَخْفرني

والتي هي روحُ العالَم

قد تمضي لتضيع

في أدغالِ

كوكبٍ

بعيد!

العيـن

الكأسُ المُترَعة بمِلْح اللّيل

تجرّعْناها

أَسْرَعَ قليلاً من الحُمّى

ثُمَّ عَيْنُكِ التي تذْرو

بارود كثيفاً

على ألوانٍ

كانتْ لِعيَنِي

ثمّة أقمارٌ

في فضاءِ بيتنا

تنبضُ وتضخّ دمًا

في شرايين الهواء

- «إنهنَّ كنَّ قلوباً ـ تقولين ـ

أيّامَ كانتْ سنابلُ الحُبّ

تُصيخُ لهذيان الشَّمس

وكانت تلك الشّجرة الجميلة

تطوف ببراري نومنا

بحثاً عن يمامة

كانتْ قدْ تَحَوّلتْ فجأة

إلى غمامة»

- «والآن،

إذْ سنرحل، فَلْتعلمِي

أنّ عيونَ المَها

هنَّ اللّواتي سيُسْعفننا

على الجِسر

الجسر الذي سنعبُرُه

أعلى قليلاً

من الحمَّى»

- « لا تَنْسَ

ما دُمنا سنرحل

أن تأخذَ السَّكاكين الذَّهَب

فثمّة في طريقنا جبلٌ صامت

يَكنزُ أنفاسَ العصافير

ويرمي المُدْلِجين العُزّل

بِأَعْين الجرائم»

- «أُنْظُري

إنها البَبَّغاوات

المُنْبَجسة من خُطاك

تُؤلّف منظومةً من خَرَز

عن صعوبات الكلام»

الرّقْصُ أسهلُ حقّاً

لكنّ قلبَ الموسيقَى

مُثْقلٌ بِمِلح الليل

والعازف؟

جاء أطبَّاءُ

مختصّون في العين

والكعب والحنجرة

قيّدُوهُ شنقُوهُ

بحبالٍ صَوْتِيّة

قدماه تتدلّيانِ تتدلّيانْ

تنقبضانِ تنبسطانْ

إنهما تُدَوْزِنَان

أوتارَ ريح الصَّـبَا!

أكثـر زرقـة

لا تتركي يدك على جبين الليل

وأحلامُكِ، دفّئيها في بؤبؤيَّ

فالبردُ بدأ ينثر زَغَبه، هنا،

حول الأغصان والشِّفاه الراعشة...

أهزوجةٌ ما تتناهى إلينا، أكثرَ

زرقةً حتَّى من اللاَّمرئيّ

تقولين إنَّ ثمّة من يُغنِّي

في هذي الغابة؟

تقولين إن الغابة متبرِّجَةٌ

بذُهان السّبَاع؟

وأقولُ لك إنَّه الشِّتاء

على أصابعك

يُحْصي ذنوب الخريف...

كوني، إذا شئت، أختاً

للسّحابة الجريحة

التي تتبعنا

وتلوّن شَعرك بذكرياتها

أَبيحي، إذا شئت، لعظامك أن تصير

أكثر زرقةً

حتَّى من اللامرئي!

لكن، خَبّريني لماذا

-حين فكرنا سويَّة

ونحنُ أمام مائدة الإفطار-

في كل تلك القُبل المنسيّة

على العتبات

انهرق نخاعُ الكأس

في معصمك

ثم علا صُراخٌ

في الحليب؟

بلمسة من أكُفِّ النسيم...

طريقــكِ إليّ مُمَوَّهــةٌ بآثــار مــرَح الفهــود، ولكنّــك تتقــدّمين. والمســافة الــتي بيننــا، بلمســةٍ من أكــفّ النسيم، تصيرُ نهراً ميّتاً. أمّا الغرقى فيــه فـأحياء. وإنْ أحــدُهُمْ أنْشِبَــتْ في عُنقــه الأظـافر الــتي من فـيروز، فسرعان ما يُلفَظُ إلى أقرب ضفّة. والكراكيّ هي الــتي ستمضي به ليُدْفَنَ في أجمل نجمة... هل قلتُ لـك إنّي أنـا نفسـي كنت نهـراً ميتـاً، ثم جـاءت تماسـيحُ وبـدأتْ تطـوفُ حـولي، فغافلتُهـا ووثبتُ بقـوّة، في هيئــتي

الآدميَّة هاتـه، وحملتْـني سـاقاي بأقصـى سـرعة إلى هذه المدينة، حيث أُوجَدُ بانتظارك؟ وأنتِ أنتِ، ستصِـلِينَ ذات فجر يقذف من بين شـفتيه موسـيقيِّين أمـامَ بـابي، فيما السّيمفونيات الـتي تُقاسـمني غرفـتي، تشـمِّرُ عن سـيقانها وتقفـز من النّوافـذ. وسـتتكلمين عن الدّسـاكر الــتي مــررتِ بهــا، وتــروين كيــف قطعْتِ أرضَ الثُّلــوج العميــاء، ذات أصــيل ســقط خلالــه الــدبُّ الأكــبر في الأحبولـة الـتي نصـبها لـه المنجّمـون، وكيـف جُسْـتِ المُرتفعــاتِ، حيث كنت أبــدو لــكِ، أحيانــاً، في مــدخل كهف، أو حتَّى على قمّة شجرة، مع أنّك تعلمين تماماً أنّي هاهنـا، قـرب الشّـعلة الـتي تُقـارعني الأنخـاب، وإذْ

تُتعتـع، تُحـاول أن تحـرق أنفاسـي وشَـعْـرِي. وأنـا أبـدو

متوجّساً، حائراً، وأحياناً، أدخل معها باستماتة اليائسين،

في مفاوضات

نُجْريها بداخل إحدى الجماجم.

لكنّكِ أنتِ أنتِ

طريقُكِ إليّ

تُزْعِشِينَـها

بِخطوة.

الأمطارُ تَحَصَّنَتْ

لَمْ تَكوني

حِينَ الطّائراتُ التي من شمع

ذابَتْ في عيونِ موتاها

حدثَ ذلك في الهجير

كُنْتُ أصطلي بنارِه

وكنتِ مقيمةً في شتائك

ومَطَرٌ جميل

يُداعِبُ

حَلمَتيك

ثمَّ جاءتْ إناثٌ غريباتٌ

ماجناتٌ تَقِيّات

ألهَيْنَني زمناً

عن النوم في حديقة

ولمّا، أخيراً

في حديقة نِمْتُ

أيْقَظَتْني غيومُ يَدَيْكِ

ثانيةً

وما تَأسّفْتُ

فقد تَعَوَّذْتُ

أن يتكاثفَ الحنينُ

في أظافري

أنْ تغرَقي

في مياهِ أعْماقي

وكانَ يَحْدُثُ أنْ تتحوّلي

ريحاً مراهقة

أَلَوِّحُ لك بيديّ

فَتُسْقِطينَ أوراقاً

وتهبّين في أحداق

قُلتِ نَلْتَهي بالآلام

نَجمعُ ضوء الوَهم

بأهدابنا نتضامَن

مع دم العُصفور

كُنتُ في الهَجير

أذابَ إناثاً غريبات

سَخَّنَ ألفاظاً

فتّرَ رعشات

لكنّ اللغات

هبطتْ من أعالي الجبال

والأمطارَ تـحصَّـنَـتْ

في الخرائط

ناعمةً كانتْ لَفْظَتُك

أعيادُكِ انسكبتْ في قواريري

والمُقَل المغروسة في الثّلج

بَدَأَتْ تُزْهِر

في الثّلج

ولم نكنْ

حين غذّينا بالسّفر

السّهر الطّويل

حين وجّهنا أنْفاسَنا طلقاتٍ

إلى قلبينا

ودَلَّيْنا التماثيل

في الآبار

قُلْنا لَو المِرآة أصْبَحَتْ

صَرْخَتَها الخاصّة

لَتَحَوَّلْنا إلى لبلاب

وأبْقَينا جسدينا في السّرّ

وأنهكنا التّلال!

وإذا جاءنا البَحر

طَمَرْناه في الكتب

حتّى يُصْبحَ هديرُه

ذا أبعادٍ فلسفية

فتنسدل السّكينة

على السّواحل

وتُقيم الموسيقى

في جنون الأزهار

قبل أن أعرفَك

عَرَفتُ ومْضَ ذكرياتك

كنت قد فقدت

ميولي الاجتماعية

استبدلتُ بها أشواكا

ذات أحلام

أجراساً

تَعرف القلق والنّدم

عَدَمًا ناضِجاً

أنيقاً

يُوَشْوِشُ لي:

ستجدُ السّرّ كلّه

في انقصاف عمر سلحفاة

في انقطاع أوتار نَجْمَة

وفي وسواس الثّواني

ستكتشفُ زمنك

قَبْلَ أن تريني

سرّتْكِ لوعتي

حَدّقْتِ في انعدامي

قطفْتِ بتلات ظلامٍ

ابْـتَـعَـثْـتِـني في ضَلالة رقيقة

في أبد متثائب

في مشهدٍ أخير

في ضاحية

حيثُ كان جَسَدانا

يَعْكِسانِ الأصْداء ألواناً

فيما، أمام أقدامِنا

كانتْ جُسُورٌ كثيرةٌ

تَتَبَخَّر!

فهرس:

1- مجموعة "محفوفاً بأرخبيلات":

ديبـاجة

أبـديَّة

رَحـيـل

هـامـشٌ لصهـيل فنـار

أقبـل الفجـر

أمسيـة

غرقى

مُهمَّـة

طويلاً عِشْتُ كَما...

مـسرّة

نـار غريبـة

بـراءة

حَـاشيـة

ذِكْر مـا جرى

ذِكْر ما جرى (2)

كيْ لا ننـسى

كان صباحٌ

ريـف

شفـافيـة

يُفاجئني المطر

شَكوى

ألـق

قَـرار

مصيــر

فـي حديـقـة الغَلس

صـعود

للشتاء أسماؤه...

صلـيل

رقصـة

2- مجموعة "راية الهواء"

الضّحـك

أمـام بـاب الحـبّ

العيـن

أكثـر زرقـة

بلمسة من أكُفٍّ النسيم...

الأمطارُ تَحَصَّنَتْ

نبذة عن مبارك وساط:

شـاعر وكـاتب مغـربي. وُلِـد سـنة 1955. صـدرت لـه المجموعات الشِّعريّة التالية:

- **على دَرَج الميـاه العميقة** (طبعـة أولى: دار توبقـال، الـدّار البيضـاء، 1990- طبعـة ثانيـة: منشـورات عُكـاظ، الرباط، 2001- طبعة ثالثة: إلكترونية، 2020).
- **محفوفـاً بـأرخبيلات** (طبعـة أولى: منشـورات عُكـاظ، الرّباط، 2001- طبعة ثانية، إلكترونيّة، 2020).
- **رايـة الهـواء** (طبعـة أولى: منشـورات عُكـاظ، 2020- طبعة ثانية، إلكترونيّة، 2020).

- فراشــة من هيــدروجين (طبعــة أولى، دار النهضــة العربية-بيروت، 2008- طبعة ثانية، إلكترونية، 2020).

- رَجُل يبتسم للعصافير (طبعة أولى: منشورات الجمل، بيروت2011- طبعة ثانية، إلكترونية، 2020).

- عُيونٌ طالما سافرتْ (منشورات بيت الشِّعر بالمغرب، المغرب، 2017).

- أستقبل راقصات شهيرات مثل الجوكندة (مختارات من مجموعات م. وساط. منقّحة ومَزيدة): طبعة إلكترونية، 2020.

- أنطولوجيــا شَخصــيّة (مختــارات من مجموعــات م. وساط): طبعة إلكترونيّة، 2020.

وقد صدرت لمبارك وساط مجموعة شعرية بالفرنسية والعربية، تَحت عنوان:

Un éclair dans une forêt

(Al-Manar, Paris, 2010)

وفي مجال الترجمة، صدر له: شذرات من سِفْرِ تَكوينٍ مَنْسِيّ، لعبد اللطيف اللعبيّ، نادجا، لأندري بريتون، التحوّل، لفرانتس كافكا، الأبديّة تبحث عن ساعة يد، قصائد مختارة لأندري بريتون...

محفوفًا بأرخبيلات...

2020

(طبعة ثانية)